

## مسألة الدين و مصالح الانسان الحيوية

للدكتور الحاج محمد رشيدى

اننى أوجه خطابى هذا الى رائدى الاديان غير الاسلام و اخص منها الدينين الكاتوليكي و البروتستانتى لاني اريد ان اخوض كثيرا في امور لها علاقة بذلكما الدينين .

انى قبل كل شىء اعتذر منهم اذا بدر منى كلمة تمس شعورهم لاني اريد حقا ان يكون بحثى موضوعيا واقعيا عندما ابحث في المسائل الدينية و ان كان يستحيل ان يكون الانسان موضوعيا تجاه المسائل الدينية كما صرح به البروفيسور (تليخ) اذ كل انسان لابد ان ينتسب الى دين مخصوص و انا أنتسب الى الاسلام .

وقد اعترف العلماء الجامعيون بان الدين من جملة المسائل التي تمس المصالح الحيوية للانسان حيث لا يقبل فيها ادنى مساومة كما لا يقبل لها بدلا فاذا شرعنا نعتقد بشىء لا ينفك الاعتقاد عنا ابدا ايها الاخوان .

ان هذا اللقاء لقاء تاريخى ليس لكون الموضوع الذى سنبحث فيه غاية من الاهمية فحسب بل لكون مسألة الدين هي مسألة التي لها مساس عميق و صلة وثيقة بحياتنا نحن اهل الجيل الحاضر كما ان لها مساسا باجيال احفادنا و ذرياتنا في المستقبل فهي مسألة خطيرة لكل اجيال التاريخ .

و ايضا ان مفهومنا عن الدين يتطور و يتأثر بالمؤثرات التاريخية لذلك نجد الآن في الجامعات الاوربية و الامريكية تلقى دراسات مقارنة بين الاديان حيث يراد بها ان نقيم المسائل الاجتماعية فيما يخص الاديان على ضوء النظريات الجديدة تمشيا مع تطورات التاريخ .

هذا وفي العصر الحديث نعيش في المجتمع المتعدد الاديان و لذلك بالرغم منا لا بد ان نساير تطور التاريخ في الاعتراف بوجود اديان متعددة في المجتمع الاندونيسى .

ولما كانت الدول الغربية تستعمر افريقية و اسيا قبل الحرب العالمية الثانية كانت الشعوب الافريقية و الاسيوية تبهر عيونها مظاهر المدنية الغربية و تحتقر كل ما ليس من الغربيين و هو ما يسمونه بالتفوق الثقافي .

فنظام الحكم اذا لم يكن على النمط الغربي جملة و تفصيلا ينظر اليه بعين الاحتقار و يعد قديما باليا و الدين اذا لم يكن نفس الدين الذي يعتنقه الغربيون يعد باطلا ضالا فاذا اراد شعب ان يسمو الى العزة و الشرف فعليه ان يقلد الغربيين في كل شىء . وقد أثر ذلك في نفسية شعبنا الاندونيسى حتى اذا لم يتكلم احدنا باللغة الهولندية كان نصيبه الحرمان من التقدير وكذلك الدين الذي يعتنقه الهولنديون يعد متفوقا ممتازا عن الدين الذي يعتنقه عامة الشعب .

هذا و لا ينقص ذلك من تقديرنا للذين يعتنقون النصرانية عن ايمان و يقين امثال اخواننا رائد النصارى الذين يشتركون معنا في هذا المؤتمر . و ظهر الآن في اوربا و امريكا اتجاه جديد و تحليل جديد و نظرة جديدة في المسألة .

فقد صرح العالم الامريكى بروفيسور (ويلفريد كانتويل سميث) — وهو استاذ كبير — في مقال له عنوانه "اعتقاد الناس الاخرين"، حيث قال "ينبغي للغربيين اليوم ان يتخلوا عن تقسيم بنى الانسان الى فريقين اثنين: فريق سعيد و هم النصارى و فريق شقى و هم غير النصارى و عليهم ان يتركوا و همهم القديم بان طريق الحياة الغربية هي وحدها الطريقة المثلى اذ لا يمكن ان يصاغ كل شىء

حسب القلب الغربي لان ذلك سوف يواجه مقاومة عنيفة واحتقارا شديدا من قبل غير الغربيين فلن ينجح ابدا. “

ثم واصل البروفيسور حديثه قائلاً :

”ان الغربيين يؤدون واجب الولاء والطاعة و الاخلاص لليونان و روما من حيث المدنية والحضارة كما يكون الولاء لفلسطين في ناحية الدين والاعتقاد. لذلك يستطيع الغربيون ان يكون لهم تفكير علماني في النطاق الاقتصادي والاجتماعي في حين انهم يعيشون عيشة دينية في حياتهم الشخصية. “

ثم قال البروفيسور سميث :

”لكن الشرقيين يكونون في انفسهم ولاء عظيم و طاعة كلية للدين الشامل لكل نواحي الحياة حتى ان الشرق يفكر ويشعر ويعمل بمقتضى تعاليم دينه فاذا مس شئ من محرمات دينه أعقب ذلك رد فعل شديد منهم. “

ثم قال :

بجانب هؤلاء الذين يقسمون الناس الى فريقين فريق سعيد وهم النصارى وفريق شقى وهم غير النصارى نجد اناسا يقفون موقفا واقعيا وهم الذين يقولون ان دين الشرقيين ليس بخطأ و انما لا ينبغى الالتفات اليه . و هذا الموقف الاخير ايضا خطأ لان معتقدات غير النصارى ليس مما لاينبغى الالتفات اليه اذ هي في غاية من الخطورة والاهمية لان كل شرقى — كما قلنا انفا — يشعر ويعمل في نطاق حدود دينه .

ثم قال البروفيسور سميث :

”اذا أردنا ان ننقذ العالم من خطر الشيوعية فالوسيلة الوحيدة الى ذلك هي ان علينا أن نحمى النصرانية في البلاد الغربية كما يجب

علينا ايضا ان نجمى الاديان الاخرى من الاسلام والبوذية والهندوكية وغيرها .“

نقلت لكم كلمات البروفيسور سميت بشىء من التفصيل لان ما قاله هو يشابه ما نراه الآن في بلادنا حيث ان فكرة تقسيم الناس الى فريقين الفريق السعيد و هم النصارى و الفريق الشقى و هم غير النصارى يعتنقه ايضا اخواننا النصارى الاندونيسيون فلذلك نشطوا كثيرا في تنصير الشعب الاندونيسى حتى انا نفسى - اول وزير للشئون الدينية - كما قاله سيادة رئيس المؤتمر - قابلنى يوما مبشران نصرانيان يدعوننى الى ترك دينى الاسلام و الى اعتناق الدين النصرانى مبينا لى ان الانجيل الذى بيديهما هو الكتاب الذى يحمل فى طيه كل الحق و قد فاز فى الامتحان العلمى و التمحيص العملى بنجاح . ولما قدمت اليهما بعض اسئلة عن تاريخ الاناجيل ومصادرها فاذا معلوماتهما فيه ضعيفة جدا ولم يقرأوا ابدا اصغر كتاب و اقصر رسالة فى تاريخ الاناجيل كرسالة ”تاريخ الكتب الانجيلية“ تأليف يوج سنوفيلد و هو كتاب بسيط يلزم لكل مثقف ان يطلع عليه . فلا شك انهما لم يطالعا على ما الفه علماء النصارى المتطرفون امثال ا. بون دافيس الذى الف كتاب ”معانى الصحف الانجيلية التى اكشفت حديثا فى البحر الميت“ او تأليف الدكتور شارلس فرنسيس بوتر عنوانه ”السنوات التى ضاع فيها الوحي العيسوى.“ هذا وقد ادرك علماء النصارى ان تلك الكتب فتحت ابوابا للاحتمالات فى تاريخ النصرانية ومستقبلها نتيجة لاكتشاف وثائق قديمة يرجع تاريخها الى القرن الاول قبل المسيح و بعده بفلسطين.

نعم أعترف ايضا بان من جانب اخوانى المسلمين تنشط حركات تبشيرية تدعو الناس الى اعتناق الاسلام و لكن لم يبلغ الى حد ان يأتي داع مسلم الى السيد كاسيمو (زعيم الكاتوليث) و السيد تامبونان

(زعيم البروتستانت) يدعوها الى اعتناق الاسلام كما فعل المبشران النصرانيان المذكوران . وذلك قليل من كثير بالنسبة الى ما وقع في مناطق اندونيسيا الواسعة و هو أكبر وأخطر من ذلك .

مثال ذلك فاني اما عدت الى قريتي بجوكجا كرتا جاءني احد الاهالي

يحدثني قائلا :

”ان اخي اعتقل بتهمة الاشتراك في محاولة الانقلاب الشيوعي الفاشل فوقع اهله في ضنك من العيش و حزن عميق . فجاء رجل الى اخي في المعتقل يسأله هل هو راض اذا سوعد اهله بالرفه والنقود فاجاب فوراً انه يقابل ذلك بكل الشكر والامتنان فقال الرجل سوف تأتي الى اهلك المساعدة العادية بانتظام غير ان عليك ان توقع على هذه الوثيقة بانك قد اعتنقت الدين الكاثوليكي . فلم يفكر اخي طويلاً و وقع على صك العهد فجاءت الى اهله مساعدات مادية وانما حدث بعد ذلك مشكلة جديدة لم يكن في الحسبان و هي ان اختي اتت تطالبي بالمساعدات المادية لحل ازمته المالية و هددتني قائلة، ”والا ارتد عن الاسلام و اتحول الى الكاثوليكية“، فلا انا اوافق على تنصرها ولا انا قادر على مساعدتها لاني كذلك في ضيق مالي مثلها .

و هناك حادثة اخرى و هي ان جماعة الكاثوليك في جاكرتا يلحون في طلب شراء قطعة ارض في منطقة استراتيجية جاكرتا و هم مستعدون ان يدفعوا لها اغلى ثمن و ذلك مليونان من الروبيات بعد ان كانت تعرض بثمان نصف مليون روبية فقط .

فالذي حدث في جكجا حدث كذلك في المدن و المناطق الاخرى بانحاء اندونيسيا و كان قبل ٦٥ سنة يريد النصاري ان يفعلوا مثل ما يفعلون الآن و هو تنصير المسلمين و لكن الحكومة الهولندية لم تسمح لهم بذلك فتوالت الانتقادات من قبل النواب النصاري في البرلمان

المهولندي ترمي الحكومة الهولندية بأنها تؤيد و تحمي المسلمين  
الاندونيسيين فردت الحكومة الهولندية انتقاداتهم قائله :

ما بكم تريدون ان تنصروا المسلمين مع انهم قد اعتنقوا دينهم  
الخاص و هو دين الاسلام؟“

فقال النواب النصارى : ”نحن لا ننصر المسلمين و انما ننصر  
الذين يدعون بانهم مسلمون و هم لا يعرفون شيئا عن الاسلام و لا عن  
اللغة العربية و لا يقيمون الصلاة بانتظام . فاجابت الحكومة  
المهولندية : ونحن كذلك نعرف كثيرا من النصارى معلوماتهم ضئيلة  
جدا عن النصرانية فنصارى اوربا الشرقية و أثيوبيا و غيرها لا يعرفون  
شيئا عن مريم الغدواء و لا عن بولس و مع ذلك فهم يعدون نصارى  
فكذلك كثير من الاندونيسيين يدعون بالاسلام و هم لا يفهمون شيئا  
عنه و انما مجرد دعواهم كاف بان يعتبروا مسلمين .“

فقال رجال التبشير النصراني : ”اننا نجى الى اندونيسيا لناخذ  
بيد الشعب الاندونيسى الى حيث المدنية و العصرية و هم لا يزالون  
في التخلف من نواحي التربية و الحياة العصرية .“

فاجابت الحكومة الهولندية : ”ان الانسان لا يلزم ان يكون  
نصرانيا لاجل يكون مدنيا عصريا . فهل دين الاسلام يتعارض  
بالعصرية و قد قال البروفيسور سينوك هورخرونيو ”ان في العالم كله  
لا يتعارض الاسلام با لمدنية و العصرية بل الاسلام نفسه غنى بالعناصر  
الضرورية لانشاء المدنية و العصرية و التقدم و العمران .“

فلما جاء المبشرون الى حجج اخرى و هى انهم أتوا الى اندونيسيا  
حاملين معهم رسالة الانسانية بدافع انساني محض و يريدون تخفيف  
مصائب الشعب الاندونيسى من الفقر و العوز.

فاجابت الحكومة الهولندية حينئذ : ”مرحبا اذا كانت غايتكم

انسانية فواصلوا أعمالكم وابدلوا جهودكم في انشاء المدارس و بناء المستشفيات و جميع الاعمال الخيرية الاجتماعية و لكن لا تشرطوا على ذلك شروطا دينية فلا تلزموا ابنائهم الفقراء الذين يتداوون في مستشفياتكم على اعتناق النصرانية. اليس قد اشتهر في هولنده كلمة "تنصر لاجل الرز"، لانهم يعتنقون النصرانية ليس عن علم و يقين و انما لاجل الحصول على المنافع المادية.

قلت آنفا ان نتيجة للسيطرة الغربية فيما قبل الحرب العالمية الثانية نشأ فيهم الشعور بتفوق المدنية و الثقافة العربية فكل ما جاء من الغرب فهو حسن ممتاز و ما سواه فهو فاسد متخلف و من جملة شعاراتهم كلمتا "العصرية" و "التسامح".

و الآن اسمعوا لى بان اجث في هاتين الكلمتين بشئ من التفصيل.

ان كلمة "العصرية" مهمة المعنى و انما فيها معنى التفوق و التسامى و قد سمعنا آنفا تلك الكلمة ينطق بها الدكتور تامبونان بوصفه نصرانيا فهي تشير الى ان غير النصارى ليسوا متمدينين و لا عصريين لذلك لما ترك مصطفى كمال اتاتورك علائم الاسلام و بعدها عن الدول التركية مجدهم النصارى و الغربيون بانه بطل المدنية و العصرية و لما بدأ الناس في ايران و الشرق الاوسط يرتدون بنطلونا و برنيطة قالوا ان تلك البلدان صارت متمدينة و عصرية و اذا نشأت دولة مجارى للمياه و اختطت طرقا و خطوطا جديدة قالوا انها متمدينة و عصرية.

فالخلاصة ان مهمة النصرانية هي حمل لواء التمدن و التقدم و العمران بمعنى أنه من لم يكن نصرانيا فليس راقيا مهذبا متمدينا. فاین التعاليم النصرانية التي ترشدنا الى المدنية و العمران؟ و قد علمنا من التاريخ كيف نشأت العلوم الحديثة في العالم حيث ان يسبقه

معارك طويلة مع الكنيسة التي لا تسمح لعامة الشعب بقراءة الاناجيل والالمام بها.

كما علمنا من التاريخ كيف ان الامم الاسلامية هي التي كانت تحمل شعلة العلوم ومنار الفنون مدى زمن طويل في قرون عديدة . فالحق نقول ان التقدم و العمران او ما يعبر عنه الآن بالعصرية والمدنية ليس منبعثا عن الديانة النصرانية انما كانت الشعوب الاوروبية و الامريكية بالصدفة نصارى و نحن نجد بجانب شعوبا تعتنق النصرانية و هي بعيدة عن التمدن و التقدم مثل الحبشة و شعوب امريكا اللاتينية و غيرها .

ولكن المهم هو ان كلمة العصرية و المدنية يستغلها نصارى لا ستغواء المسلمين لترك الاحكام الاسلامية و تعاليمها . فها نحن مقبلون على شهر رمضان و فسمع اناسا يقولون ان الصيام يعرقلنا عن التقدم و يقلل من فعالية الاشغال فلنكن عصريين و لنترك الصيام .

هذا و الكلمة الثانية التي يتبجح بها التفوق الثقافي الغربي هي "التسامح" فلما قامت الاعتراضات في انحاء مختلفة من الوطن الاندونيسى امام حركات التنصير رسوا المسلمين بعدم التسامح و دعمهم الى العمل به باعتباره روحا و معنى للبانجاسيلا .

هذا و قد نشأ التسامح في العالم الغربي بسبب العوامل الخاصة فيه و هي ان في القرن الرابع و بعده ظهر في اوربا اختلاف شديد حول اعتقاد الثالوث و ظهرت مشاكل هل اليسوع ابن الله حقا ام هو بشر عادى ام بشر يحل فيه ذات الله فوقعت معارك دامية بين الطوائف و المذاهب النصرانية . فلما دخلت اوربا في عهد الاصلاح في اوائل القرن الخامس اشتد الخلاف من جديد و دامت الحروب بينهم عشرات القرون حتى عقدت معاهدة "ويستفال" في عام ١٦٤٨ فتخلصوا من

تلك الفوضى ظهرت كلمة "التسامح" منعا للفرق و المذاهب النصرانية عن الاستعمار في المنازعات و العداوات و الحروب فيما بينها .

فلما هاجر الاوروبيون الى امريكا طلبوا للحرية و الارتزاق وجدوا انفسهم على مذاهب و طوائف شتى فمنعا لعودة الفوضى و النزاع بينما بينهم احيوا فكرة التسامح فهي فكرة نصرانية لصالح المجتمع النصراني .

واما بالنسبة لنا نحن المسلمين فعندنا تعاليم خاصة مذكورة بنصوصها الحرفية في القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا وهي ان على المسلمين احترام الاديان و خاصة الكتابية منها من المسيحية و اليهودية . فالحرية الدينية و اقامة شعائر كل دين مكفولة و مضمونة ضمانا كاملا في المجتمع الاسلامي . وقد قال الله في كتابه الكريم "ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم" .

فالتسامح الذي يتبجح به النصارى اليوم يعنون به ان يلزم المسلمون السكوت و الجمود في حين انهم يرون باعينهم امامهم حركات التبشير تحول المسلمين الى نصارى بكل وسائل الاغراء المادية . فالتسامح بهذا المعنى لا نقبله ابدا و قد بحثت هذا الموضوع مع استاذ جامعي امريكي الذي قام بزيارة لاندونيسيا حديثا فنصحتني قائلا : فضح أعمالهم و حياتهم امام العالم اجمع لانها مشينة مذمومة . "

هذا و هناك كلمة اخرى يذكرونها دائما في كل مكان و آن و هي "حقوق الانسان الطبيعية" وهي ايضا غامضة لمعنى اذ كانت في البداية ان رجال الكنائس يحتكرون كل الحقوق فلانها ذلك الاحتكار المادي و الروحي فكروا في اعلان الحقوق الطبيعية للانسان و انما الذي يتشدقون به الآن هو التحول و الارتداد عن الاسلام الى النصرانية كما تصدع به حملاتهم التبشيرية في هذه الايام .

لقد ذكر آنفا الدكتور تامبونان (زعيم البروتستانت) ان الاخضاع

الكلى والسحق التام للمسلمين ليس من غاية حركات التبشير اليوم .  
نعم كان كذلك قبل عشرات السنين واما الآن فليس لنا برنامج في  
اخضاع العالم الاسلامى تحت النصرانية .

وهنا أصرح وأؤكد ان تلك النية و ذلك العزم لايزال موجودا  
ومتغلغلا في صدور النصارى . و قد اطلعت حديثا كتابا للدكتور  
"كريم" عنوانه "رسالة النصرانية في العالم غير النصراني" وفيه  
نقرأ بوضوح برامج التبشير ومخططات التنصير التى ينفذها النصارى و  
يطبقونها بكل دقة و نظام لتنصير العالم اجمع و لتنصير اندونيسيا خاصة .  
هذا و انا اشعر بان الحالة الحاضرة خطيرة جدا و العلاقات بين  
المسلمين و النصارى متوترة جدا فلا يمكن ان نتظاهر بانكارها لان  
الذى عقد فى جاكرتا مؤخرا فى كل مكان .

ملحوظة : كلمة ألقاها الدكتور محمد رشيدى  
مندوب جمهورية اندونيسيا فى المؤتمر  
الذى عقد فراجا كرتا مؤخرا فى الايام الاخيرة